

الأساس في الطب النفسي الافتراضات الأساسية:

الفصل السادس:

ملف اضطرابات الوعي (54)

نعمل حلم (13)

أصل التنظير وراء التجربة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD121015.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/10/12
السنة التاسعة - العدد: 2964



لاحظنا كيف قام أعضاء الجماعة العلاجية بتفائية وطلاقة بالمشاركة في التجربة بعد أن استطعنا أن نتغلب على الاستغراب وتوقع الصعوبة، وأن نتخطى الصعوبات المبدئية عند المجموعة ككل ثم عند من يحتاج بعض ذلك حسب موقفه، لكن يظل التساؤل الذي يطرح نفسه يقول: هل ما قام به هؤلاء ينتمي إلى الحلم الذي نحلّمه أثناء النوم؟ أم إلى الفرض المطروح عن إبداع الحلم قبيل اليقظة؟ وما مدى قرب "عمل الحلم" من هامش وعي اليقظة (كما أسميناه) من عملية الإبداع عموماً، ومن إبداع ما يسمى أدب الحلم خاصة.

وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بد من الرجوع - برغم ما في ذلك من تكرار - إلى بعض الأصول الفرضية قبل محاولة تفسير التجربة وربطها بالإبداع، الفرض الأساسي يقول:

"إن الحلم هو نشاط معرفي، يقوم بوظيفة تنظيمية أقرب إلى الإبداع، سواء تم ذلك مع إعلان تأليف حلم يرويه الحالم عند استيقاظه، أم ظهرت نتائجه المعرفية والتنظيمية تؤكد كفاءة أدائه لهذا النشاط المنتظم المعاد، كجزء من الإيقاع الحيوي الشامل. يستتبع ذلك إعادة النظر في مستويات الحلم من أعمق حركية التنشيط البيولوجي الإيقاعي الراتب، حتى النقاط بعض آثار هذا التنشيط من معلومات هي مادة صياغة الحلم المحكى قبيل اليقظة (هذا إذا حكا الحالم أصلاً)، وما بين هذا وذاك تقع مستويات وسطى من التنشيط العشوائي غير المعلن إلى إعادة التنظيم الإبداعي، مع احتمال تزييف بديلٍ بخيالٍ مصنوع، يحل محل إبداعية الحلم.

الحلم: إبداع الشخص العادي

من خلال ما تابعته في الممارسة الإكلينيكية، وأيضاً من الخبرة الشخصية تبين لي أنه حين يستيقظ النائم - أو يوقظ في أثناء هذا التنشيط الإيقاعي المسمى النوم الحالم (أو النوم النقيضي: فإنه يواجهه - "وهو يستيقظ" - بكم غامر من مفردات (معلومات) تم تحريكها أثناء هذا النشاط (الحالم). وهو حين يحكى الحلم إنما يؤلف بين بعض هذه المعلومات حتى يمكن أن ينقلها إلى آخر، أو حتى أن يتذكرها لنفسه، ويتم التأليف (قبل التسجيل) - في جزء من ثانية- بطريقة غير طريقة التفكير والتأليف في أثناء اليقظة، ليكون الناتج هو هذه الصورة المكثفة المتداخلة، بما تحمل من سرعة نقل، وتدوير للزمن، أو عكسه، أو تقطيعه..... إلخ

إذن فالحلم هو نشاط بيونفسي [1] وهو من تجليات العملية الناتجة عن النشاط الإيقاعي الحيوي المستمر، هذا النشاط الذي يشمل عمليات: القفلة والتفكيك وإعادة

"إن الحلم هو نشاط معرفي، يقوم بوظيفة تنظيمية أقرب إلى الإبداع، سواء تم ذلك مع إعلان تأليف حلم يرويه الحالم عند استيقاظه، أم ظهرت نتائجه المعرفية والتنظيمية تؤكد كفاءة أدائه لهذا النشاط المنتظم المعاد، كجزء من الإيقاع الحيوي الشامل

حين يستيقظ النائم - أو يوقظ في أثناء هذا التنشيط الإيقاعي المسمى النوم الحالم (أو النوم النقيضي: فإنه يواجهه - "وهو يستيقظ" - بكم غامر من مفردات (معلومات) تم تحريكها أثناء هذا النشاط (الحالم).

الترتيب والصلق بأي درجة متاحة. إن الحلم المحكى – بناء على ذلك – هو نتاج عملية إبداعية هائلة السرعة، تتم في جزء من الثانية، أو في بضع ثوان [2]، في حالة بيئية من مستويات الوعي: لا هي وعى الحلم، ولا هي وعى اليقظة.

إن من يستكثر على الإنسان العادى أن يكون مبدعا إلى هذه الدرجة ينسى إن الإنسان الفرد في دورات نموه وقفزات تغيره الكيفى، يعيد إبداع ذاته بإيقاع منتظم باستمرار حيث أن الإيقاع الحيوى هو أساس الإبداع الحيوى على مسار بقاء الأحياء كلها.

الأحلام فى القصة والرواية:

ثم ننتقل إلى ورود الأحلام فى القصة والحكى الروائى:

"إن الحلم الذى يطلق عليه اسم حلم فى القصة أو الرواية، قد لا يكون كذلك، وإنما قد يكون من أسطح خبرات الخيال شبه اليقظ، فى حين أننا قد نجد الحلم الحقيقى الأعمق فى مواجهة التنشيط الحيوى وقد تمثل أمامنا فى صلب السياق الروائى مباشرة، نجده بكل معالم الحلم دون إعلان أو تحديد نوعه العلمى، وذلك فى الأعمال التى تسمى باسم الحلم مثل أحلام فترة النقاهة لمحفوظ أو التى يعلن تشكيلها هذا النوع من التكثيف والنقلات وتدوير الزمن وكشف الأساطير الذاتية أو العامة".

وبعد

إذا كان الأمر كذلك فأين نضع ما حدث فى هذه التجربة (اللعبة – العلاج: نعمل حلم)؟ هل هو ينتمى إلى وعى الحلم أكثر أم إلى وعى الإبداع أم أنه فى مرحلة بين هذا وذاك؟ نرجع نتعلم من نجيب محفوظ وهو يصف علاقة إبداعه أحلام فترة النقاهة بالذات بأحلامه أو بتعبير أدق علاقة إبداعه، بما يلتقط من أحلامه، يقول نجيب محفوظ: فى وجهة نظر فى أهرام الخميس 16 نوفمبر 2000، ردا على أسئلة الأديب محمد سلماوى حول هذه التجربة "أحلام فترة النقاهة".

"..إن الأساس المحرك فى هذه القصص هو حلم حقيقى لكنه حلم ليس مساويا للقصة كما تنتشر، فالحلم قد يمنحنى الفكرة لكنى أعمل على هذه الفكرة طويلا، إلى أن تتحول إلى قصة، فمثلا ما أخرج به من الحلم قد يكون إحساسى أننى فى مكان عظيم الاتساع، ولكن ماذا يجرى فى هذا المكان وما هى الأحداث التى يمكن أن تنقل للقارئ إحساسى بالمكان خلال الحلم، كل ذلك يجرى فى مرحلة تالية للحلم ... ولو التزمت بالحلم وحده لاقتصر فى مثل هذه القصة على وصف لهذا المكان الذى رأيته فى الحلم، تلك لا تكون قصة، إن فالحلم قائم فى كل هذه القصص، ... كل قصة منهم تتعدى الحلم إلى أن تصبح أدبا... كنت فى السابق تأتىنى أفكار الكتابة من حديثى مع الناس، أو من جلوسى على المقهى أو غير ذلك من مخالطتى اليومية للحياة، وقد تصورت بعد أن انقطعت عن هذا الاختلاط بسبب ظروفى الصحية بأن مصدر إلهامى قد ذهب بغير رجعة، لكنى فجأة وجدته يطل على من جديد فى أحلامى وكأنه يقول لى لا تقلق، سأتى لك بالأفكار والقصص دون أن تخرج إلى الشارع".

أليس هذا أقرب إلى ما افترضناه عند الشخص العادى وهو يؤلف ويبدع حلمه فور أو قبيل الاستيقاظ مهما كان أبعد ما يكون عن هذا الوصف الذى لا يصفه إلا مبدع.

وعلىنا طبعاً أن نحترم كل كلمة قالها محفوظ، لكن علينا قبل ذلك وبعد ذلك أن ننتبه إلى حدود ربطه (مثل أى مبدع) بين العمليات المنتجة للقصة الأدبى وبين مصادرها الأعمق، إذ لا يمكن – مع

حين يحكى الحلم إنما يؤلفه
بين بعض هذه المعلومات
حتى يمكن أن ينقلها إلى
آخر، أو حتى أن يتذكرها
لنفسه، ويتم التأليف (قبل
التسجيل) - فى جزء من
ثانية- بطريقة غير طريقة
التفكير والتأليف هى أثناء
اليقظة

الناجم هو هذه الصورة
المكثفة المتداخلة، بما تحمل
من سرعة نقل، وتدوير للزمن،
أو عكسه، أو تقطيعه..... إلخ

إذن فالعلم هو نشاط
بيونفسى [1] وهو من تجليات
العملية الناتجة عن النشاط
الإيقاعى الحيوى المستمر،
هذا النشاط الذى يشمل
عمليات: العقلية والتفكير
فإنحادة الترتيب والصلق بأي
درجة متاحة

إن الحلم المعكى - بناء على ذلك - هو نتاج عملية إبداعية هائلة السرعة، تتم في جزء من الثانية، أو في وضع ثوان، في حالة بينية من مستويات الوعي: لا هي وعي الحلم، ولا هي وعي اليقظة

كل التصديق والاحترام - أن يكون كل ما يخرج به من الحلم هو مجرد "مكان عظيم الاتساع" ثم يروح يملأه بما ليس منه، إن الفرض المطروح يسمح لنا أن نغوص أكثر من تبسيطه وتواضعه، فننتصور أن هذا المكان ملئ بكل ما يحضر في عمق وعي إبداعه، فيقوم هو بترتيبه وتشكيله وإضافة ما يحضره وحذف ما لا يطاوعه، كل ذلك يجرى بزخم الإبداع الذي لا يدرك عنه صاحبه إلا ما يقدر أن يختزله في مثل ما قال محفوظ على عظمتة وصدقته.

فالحلم الذي تتعداه القصة إنما تتعداه بأن تحتويه تشكيلا فائقا دون علاقة مباشرة أو سببية طبعاً. المهم في هذا المقتطف أن نتوقف فرحين عند تعبيره "وجدته يطل على من جديد في أحلامي وهو يقول لي لا تغلق، سأتي لك بالأفكار والقصص فقط دون أن تخرج إلى الشارع...".

فننتبه إلى أنه لا يأتي له بالأفكار والقصص، وإنما هو مصدر كل حركية الإبداع حين يلتحم جدلاً مع الوعي الفائق الذي يحتوى أغلب مستويات الوعي ليكون إبداعاً.

* ثم نرجع إلى فرويد وهو يقول:

"لقد عثرت بالصدفة في رواية "جراديفا. ف. يتزن"، على أحلام متعددة، خلقها المؤلف خلقاً، ولكنها كانت مع ذلك صحيحة كل الصحة في بنائها، وأمكن تفسيرها، كما لو كانت (أحلاماً) تصدر عن أشخاص حقيقيين، ولم تكن من بدع الخيال. وقد ذكر لي المؤلف رداً على سؤال من جانبي أنه لم يكن يعلم شيئاً عن نظريتي في الحلم. ولقد اتخذت من هذا التطابق بين مباحثي وخلق الكاتب شاهداً على صحة تحليلي للأحلام"^[3].

فهذا نوع من إبداع الحلم في سياق الرواية بنفس طريقة إبداع المستيقظ حلم مع فارق الوحدة الزمنية (وربما بنفس طريقة التجربة قيد الفرض).

ونختم بجارثيا ماركيز في "مائة عام من العزلة":

"...وأخذوا يرون في هذه الهلوسة، وضوح الرؤية المخيف للصور التي تكوّن

أحلامهم... بل أخذ كل منهم يرى صور أحلام الآخرين حتى لكان البيت امتلاً بالزوار...."^[4].

أليس هذا قريب من الذي تابعناه في جماعتنا العلاجية وهي تمارس حركية الوعي البيئشخصي ثم الوعي الجمعي أثناء جريان التجربة حين تتداخل المدرب وكثير من الأفراد في أحلام بعضهم البعض "حتى أخذ كل منهم يرى صور أحلام الآخرين"!!! بل ويشترك فيها ويضيف إليها!!

السؤال:

هؤلاء الذين أبدعوا أحلامهم أثناء التجربة، لا هم "جراديفا. ف. يتزن"، (عن فرويد) ولا "تجيب محفوظ" ولا "جارثيا ماركيز"، هم من عامة عامة البشر، فكيف فعلوها وهم "في يقظة معا" هكذا؟ هذا ما سوف نحاول إكماله في المنشآت التالية.

قد تصورته بعد أن انقطعت عن هذا الاختلاط بسببه ظروفي الصحية بأن مصدر إلهامي قد ذهب بغير رجعة، لكنني فجأة وجدته يطل على من جديد في أحلامي وكأنه يقول لي لا تغلق، سأتي لك بالأفكار والقصص دون أن تخرج إلى الشارع

من أهم ما يساعد في فهم ما ترمي إليه هذه الدراسة هو تصور الوحدة الزمنية الأصغر وقدرتما على احتواء تأليفه مكنونه، يبدو ممتداً عند روايته

Psychobiological - [1]

[2]- من أهم ما يساعد في فهم ما ترمي إليه هذه الدراسة هو تصور الوحدة الزمنية الأصغر وقدرتها على احتواء تأليف مكثف، يبدو ممتداً عند روايته. ولتوضيح ذلك أورد ملاحظتين: الأولى حلم اقتطفه فرويد (حلم موري 1878) (تفسير الأحلام ص 64، 65) "... كان مريضاً يلزم الفراش وإلى جواره أمه، فرأى فيما يرى النائم أن الوقت هو حكم الإرهاب في عهد الثورة (الفرنسية)، وجعل يشهد بعض مناظر الموت المروعة، ثم دعى للمثول أمام المحكمة، وهناك رأى روبسيير، ومارا، وفوكييه-تانفيل وسائر الأبطال المفجعين لهذا العهد الرهيب، وسأله هؤلاء الحساب. ثم بعد عدة من التفاصيل لم يعد يذكرها، أدين وسبق إلى ساحة الإعدام، يحيط به جمهور لا حصر له. وصعد موري على المنصة وشده الجلاذ إلى العارضة، وانقلبت هذه، وهوى نصل المقصلة، وأحس موري برأسه

ينفصل من جذعه، فاستيقظ في رعب، فإذا هو يتبين أن رأس السرير قد سقط، فأصاب عموده الفقري عند العنق، مثلما يفعل نصل المفصلة .

أوردت هذا الحلم لسبب غير السبب الذي أورده فرويد وهو يحاول الربط بين الحدث الخارجى ومحتوى الحلم. إن هذا الحلم يظهر مدى التناسب الظاهرى بين الحدث المسئول عن محتوى الحلم وبين القصة الممتدة كل هذا الزمن، بمعنى أن سقوط رأس السرير لم يستغرق سوى ثانية، أو بضع ثوان فى حين أن الحلم كما حكى، استغرق كل ذلك الزمن، بما يدعم فكرة تناهى صغر زمن الحلم، وعدم ارتباطه بالزمن المحكى فى محتوى الحلم، فضلا عن ترجيح ما سيأتى به الفرض من أن الحلم قد يكون قد تم تأليفه كله مع لحظة الاستيقاظ بسبب سقوط رأس السرير.

الملاحظة الثانية من خيرة شخصية أوردها كمثال:

كنت أفود سيارتى ليلا فى طريق مصر - اسكندرية الزراعى، وقبل كوبرى قلوب العلوى بعشرات الأمتار رأيتنى وأنا أخطب فى جمع من الناس، وأنادى أألى، وأتوعد بعض المارقين، وأسمع أغنية سخيطة ثم أستيقظ فزعا-لأنى كنت مازلت أفود السيارة -وأجد السيارة لاتزال تسير مستقيمة وبسرعة، وأنظر إلى جارى الممتلئ يقظة فلا أجده قد لاحظ شيئا، فأعلم أنى حلمت كل هذه الأحداث فى جزء من الثانية، أو أقل أو أكثر قليلا، فأحكى الحلم لجارى فلا يكاد يصدق. أوردت هذا المثال الشخصى لتأكيد زمن الحلم المتناهى فى الصغر من ناحية، وللإشارة إلى عدم ضرورة علاقة محتوى الحلم بالأحداث الخارجية من جهة أخرى. ويمكن ربط هذه الفكرة المزعجة (تناهى صغر لحظة الحلم/ الإبداع) بمفاهيم كثيرة شائعة وصعبة الاستيعاب، مثل مفهوم الميكروجيني (الذى اقتطفه أريتي من فرنز)، و"لحظة" الإلهام عند المبدعين، وربما أصل به لمفهوم "الوثبة" فى إبداع الشعر... إلخ. مما لا مجال لتفصيله هنا.

[3] - هامش أورده فرويد فى "تفسير الأحلام" (الطبعة المترجمة نفسها) ص 127

[4] - مائة عام من العزلة ص 48.

*** **

أن سقوط رأس السرير لم يستغرق سوى ثانية، أو بضع ثوان فى حين أن الحلم كما حكى، استغرق كل ذلك الزمن، بما يدعم فكرة تناهى صغر زمن الحلم، وعدم ارتباطه بالزمن المحكى فى محتوى الحلم

يمكن ربط هذه الفكرة المزعجة (تناهى صغر لحظة الحلم/ الإبداع) بمفاهيم كثيرة شائعة وصعبة الاستيعاب، مثل مفهوم الميكروجيني (الذى اقتطفه أريتي من فرنز)، و"لحظة" الإلهام عند المبدعين، وربما أصل به لمفهوم "الوثبة" فى إبداع الشعر

تنظم مؤسسة العلوم النفسية العربية اسبوع " العربية " و علوم النفس

الاسبوع السنوي الثاني

من 18 الى 2 ديسمبر 2015

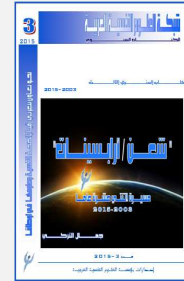


دعوة للمشاركة في اثناء الاسبوع الثاني بدراساته في
الموضوع

شبكة العلوم النفسية العربية

تهديكم

الكتاب السنوي الثالث لشبكة العلوم النفسية العربية



" شعور / أرابسيينات"
مسيرة إنترنتي عشرة عامات

تحمي ل الأهم حاء

www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet12Years.pdf